محمد بن قويدر / الصفحات: من 189 إلى: 202
الملتقى الدولي: التعدد المصطلحي في اللسانيات ومشكلات الترجمة-مخبر-اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات-جامعة الأغواط-ديسمبر 2023م

المصطلح النحوي العربي القديم بين الائتلاف والاختلاف

The ancient Arabic grammatical term between coalition and disagreement

د. محمد بن قويدر
جامعة عمّار ثليجي-الأغواط(الجزائر)
mo.benkouider17@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/12/08 | تاريخ القبول:2023/12/11 | تاريخ النشر: 2024/05/01

ملخص:

سنتناول في هذه الورقة البحثية التي بين أيدينا المصطلحَ النحوي العربي القديم من حيث التوافق والاختلاف في الوضع والاستعمال، فمن المعلوم أنّ النّحاة العرب قديما اتفقوا في جملة من المصطلحات النحوية، كالفاعل، والمفعول، والفعل، واختلفوا في عدد من المصطلحات المعبّرة عن مفاهيم نحوية معيّنة، فبرز المصطلح النحوي البصري، والمصطلح الكوفي، ليأتي فيما بعد المصطلح التوافقي، الذي تبنته المدرسة البغدادية، والتي تزعّمها الإمام ابن قتيبة. ومن هنا فإننا نروم البحث في المتّفق والمختلف فيه من المصطلحات النحوية، نستظهرها، ونستقرئها، ونمثّل لها، لنبيّن مواطن الائتلاف والاختلاف، وأثر ذلك على النحو العربي.

الكلمات المفتاحية: النحو؛ البصرة؛ الكوفة؛ الاختلاف؛ الائتلاف

Abstract:

In this research paper, we will address the ancient Arabic grammatical term in terms of compatibility and difference in status and usage. The Basri grammatical term and the Kufic term emerged, to come later the harmonic term, which was adopted by the Baghdadi school, which was led by Imam Ibn qutaiba. Hence, we aim to research the agreed upon and the different grammatical terms, we memorize them, we read them, and we represent them, to show the places of coalition and difference, and the impact of that on the Arabic grammar.

Keywords: Gramma; El-Basra; El-Kufa; The difference; The coalition

مقدمة

لقد شهد العالم العربي منذ ظهور الإسلام تحوّلات عدّة في مجالات شتّى، وصار الاهتمام بالعلم وتحصيله ذا أهمية كبيرة في حياة العرب، واللغة باعتبارها الحامل العلمي والحضاري، كان لها الحظ الأوفر من الاهتمام، فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم تعليمَ الكتابة لمسلمٍ شرطا أساسا لحرية الأسير، ونزول أول آية دليل صارخ على أهمية طلب العلم، وقد توالى الاهتمام باللغة فيما بعد، ليصل مراحل متقدّمة من البحث، ليبلغ أوجّه مع الخليل وسيبويه، والفراء، والمبرد، والكسائي، وغيرهم من فطاحل العربية.

وتذكر المصادر التاريخية أنّ السبب الرئيس في جمع كلام العرب ودراسته، واستنباط قواعد وضوابط وأسس عامة، يوزن من خلالها الكلام العربي، يعود أساسا إلى الحسّ الديني تجاه القرآن الكريم، والواجب القومي، الذي شعر به هؤلاء؛ فقد رأوا اللحن بدأ في التفشي، والمسلمون يتزايدون، ورقعة العالم الإسلامي تتوسّع، بالإضافة إلى التصاهر والزواج من نساء غير عربيات، وفي ذلك من الخطر على لغة الطفل العربي ما فيها، كلُّ ذلك جعلهم يستظلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، (الحجر/9)، وينطلقون في رحلة بحثية مسّت جميع مستويات اللغة من الصوتيات وما يتعلّق بها إلى النحو والصرف والنحو والبلاغة والدلالة والمعجم.

فنجد-على سبيل التمثيل لا الحصر- في الصوتيات والصرف والنحو والمعجمية وغيرها الخليلَ بن أحمد الفراهيدي، الذي يعدّ الأب الروحي للدراسات اللغوية العربية، فقد استطاع ابتكار طريقة صوتية في بناء أول معجم عربي مكتمل، وقد أكمل المسيرة العلمية من بعده تلميذه سيبويه، ليضع للناس كتابا جامعا مانعا في النحو، ليواصل تلامذتهم من بعدهم. وفي البلاغة نجد الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز والجرجاني، وهلمّ جرّا، والحديث عن التراث يطول والمقام لا يسعنا ههنا.

وأمّا موضوعات النحو فقد طُرقت كثيرا، وتحدّث الباحثون عن المصطلحات والمفاهيم النحوية، ولكلّ باحث منهجيته ومصادره ومراجعه، وقصديته من وراء ذلك، وأمّا نحن فنعتزم-في هذه الورقة- البحث في المصطلح النحوي العربي القديم، من حيث الوضع والاستعمال، لنرى مواطن الائتلاف والاختلاف، وأثر ذلك على الدارسين والمنشغلين بالنحو. وقد جاء بحثنا هذا في مقدمة تتناول الإطار العام للبحث، ومبحث أول موسوم بـــ: النحو العربي ومدارسه. ومبحث ثان بعنوان: المصطلح النحوي العربي، وخاتمة: تمّ فيها تقديم حوصلة عامة عن البحث المقدّم.

1. **النحو العربي ومدارسه** إنّ المتأمّل في التراث العربي اللغوي ومصادره يجد أمامه مصطلح (المدرسة النحوية)، أو مصطلح (المذهب النحوي)، ويوحي ذلك دون شكّ بوجود اتجاهات فلسفية وجودية، تصوّر كلٌّ منها النحوَ من منظور معيّن، ولكن هل حقًّا توجد مدارس نحوية بهذا المفهوم أم أنّ الأمر مجرد اصطلاح لتسهيل الدراسة، فتمّ تقسيم الآراء النحوية إلى مدارس؟

وقبل الإجابة عن السؤال من خلال عرض آراء الباحثين، نحاول تعريف النحو، مع ذكر أسباب ظهوره:

1.1 النحو: أ-**لغة**: تعود مادة النّحو أساسا إلى (ن ح و)، والنحو في اللغة القصدُ والطريق، يقول ابن منظور: "والنَّحْوُ: القَصدُ والطَّرِيقُ، يَكُونُ ظَرْفًا وَيَكُونُ اسْمًا، نَحاه يَنْحُوه ويَنْحاه نحْواً وانْتَحاه، ونَحْوُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْهُ..."[1].

ويبدو أنّ لهذه المادة دلالة محورية ثابتة تدور معها، يقول ابن فارس: "النُّونُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ. وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوُ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أُصُولَ الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ الْعَرَبُ تَتَكَلَّمُ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ

بَنِي نَحْوٍ: قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ. وَأَمَّا [أَهْلُ] الْمَنْحَاةِ فَقَدْ قِيلَ: الْقَوْمُ الْبُعَدَاءُ غَيْرُ الْأَقَارِبِ. وَمِنَ الْبَابِ: انْتَحَى فُلَانٌ لِفُلَانٍ: قَصَدَهُ وَعَرَضَ لَهُ"[2].

ب-**اصطلاحا**: النحو انتحاء سمت كلام العرب، يقول ابن جني: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوًا كقولك: قصدت قصدًا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيت الله خص به الكعبة وإن كانت البيوت كلها لله. وله نظائر في قصر ما كان شائعًا في جنسه على أحد أنواعه. وقد استعملته العرب ظرفًا وأصله المصدر"[3].

وقد نشأ النحو العربي في ظروف معيّنة، بلغ فيها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها إبان الفتوحات الإسلامية، ففشا اللحن بين أفراد تلك المجتمعات المسلمة الجديدة، فاحتاج هؤلاء إلى تعلّم اللغة التي نزل بها القرآن لفهمه وفقه معانيه، مما فرض على المسلمين العمل على وصف اللغة العربية، ثمّ ضبطها في معايير يحتكم إليها الناس عند الحاجة، فانطلق العلماء المهتمون إلى البوادي وراحوا يدوّنون ما يسمعون، واستمرّ الأمر كذلك إلى أن اكتملت الدراسات اللغوية إلى حدّ ما، فظهرت الرسائل، والمعاجم، وكتب النحو واللغة، وصارت تلك المصنَّفات دساتير للعربية، وهذا لا يعني توقف البحث في هذه اللغة، ولكننا نقصد تلك الإسهامات الكبيرة من لدن هؤلاء.

يمكن حصر الأسباب الباعثة لظهور علم النحو اختصارا واعتصارا فيما يلي:

- **بواعث دينية**: حرص المسلمون حرصا شديدا على ضبط اللغة، من أجل قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة، وفهم معانيه وخطاباته، ولا يتمّ ذلك إلا من خلال فهم اللغة التي نزل بها: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، (الشعراء/195).
- **بواعث قومية**: تتمثّل في اعتزاز العرب بلغتهم، مما حفّزهم لصونها وحفظها.
- **بواعث اجتماعية**: وتتمثّل أساسا في حاجة المسلمين الجدد لتعلّم اللغة العربية[4].

2.1 المدارس النحوية:إنّ مصطلح (مدرسة) يشير إلى وجود مذهب معيّن قائم بذاته، والمدرسة في اللغة من (درس، يدرس، درسا، مدرّس، مدرسة)، وهي المكان المعدّ للدراسة، كما تدلّ على اتجاه فكري أو فلسفي معيّن، جاء في المعجم الوسيط: "المدرسة مَكَان الدَّرْس والتعليم، وَجَمَاعَة من الفلاسفة أَو المفكرين أَو الباحثين تعتنق مذهبا معينا، أَو تَقول بِرَأْي مُشْتَرك، وَيُقَال هُوَ من مدرسة فلَان على رَأْيه ومذهبه[5]".

ولمعرفة حقيقة وجود المدارس النحوية، نحاول أن نتتبع هذا المصطلح في المصادر والمراجع التي ترجمت للنحاة، قديما وحديثا، فمن القدماء نجد ابن سلّام (ت231ه) يقول: "وَكَانَ لأهل الْبَصْرَة فِي الْعَرَبيَّة قدمة، وبالنحو ولغات

الْعَرَب والغريب عناية"[6]، ونلحظ أنّه لم يسمّ مدرسةً، بل ذكر إقليم البصرة، والأمر يتكرّر عند ابن قتيبة (ت276ه) فقد ذكر من اشتغل بالنحو واللغة، ولم يميّز بين النحاة واللغويين، ولم ينسب أحدا إلى مدرسة أو مذهب، وإنّما كان يشير إلى الإقليم أحيانا للتعريف بشخصية نحوية غير معروفة[7].

ولا يختلف الأمر عند أبي الطّيّب اللغوي (ت351ه) في كتابه (مراتب النحويين)، فقد ترجم لعدد من نحاة البصرة والكوفة وبغداد دون أن ينسب واحدا منهم إلى مدرسة أو مذهب، وإنّما كان تقسيمه لهم على أساس إقليمي لا غير[8].

وقد عرضت الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (المدارس النحوية) أقوال وآراء ومناهج المترجمين لسيَر النحاة، لتصل إلى أنّ عامة من ترجم لهؤلاء لم يستخدم مصطلح (مدرسة)، ولا مصطلح (مذهب) إلا ما كان من ابن النديم (ت384ه) إذ أشار إلى مصطلح (مذهب)، وإنّما كان تقسيمهم للنحاة على أساس إقليمي، فاستخدموا (من أهل البصرة) و (البصريون) و (بصري) وهكذا[9].

وإذا ما عدنا إلى المعاصرين نجد أنّهم قد استعملوا هذا المصطلح-مدرسة- للإشارة إلى نحاة البصرة، أو نحاة الكوفة، أو نحاة بغداد، أو غيرها، ومن هؤلاء كارل بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، والدكتور شوقي ضيف في (المدارس النحوية)، ومهدي المخزومي في كتابه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، وغيرهم، ثم أصبح المصطلح متداولا في أبحاث وكتابات الدّارسين والباحثين، ليدلّ على أنّ هناك مدارس نحوية قائمة بذاتها، لها تصوّراتها ومناهجها في معالجة القضايا النحوية، ولها مُنظّرون، وخير دليل على ذلك ما كان يعقد من مناظرات، ولقاءات، وما المسألة الزنبورية عنّا ببعيد.

اشتهرت خمس مدارس نحوية، نسردها فيما يلي:

أ-**مدرسة البصرة**: تشير هذه التّسمية إلى مذهب نحوي بارز ظهر في إقليم البصرة، وقد تهيّأت له أسباب معيّنة ليبرز عيانا، وتعدّ مدرسة البصرة الواضعة الأولى للنحو، وما دفع نحاتها إلى ذلك العواملُ آنفة الذكر؛ فقد انتشر الإسلام في أقطار عديدة، وتوسّعت رقعة العالم الإسلامي، ليجد العرب المسلمون أنفسهم أمام مسلمين جدد لا يعرفون عن العربية شيئا، بالإضافة إلى الزواج من غير العربيات، كلُّ هذا وغيره جعل البصريين يفكّرون في إيجاد حلّ لمنع وقوع اللحن في القرآن الكريم خاصة والعربية عامة، والقصص التي تروى في ذلك كثيرة لا يسعنا المقام لذكرها.

ويعدّ أبو الأسود الدؤلي (ت69ه) أول من حاول وضع طريقة لمنع اللحن، وذلك بنقط المصحف، وتمّ ذلك العمل على أساس صوتي، ليكون هذا العمل منطلقا لسائر الدراسات النحوية فيما بعد؛ لإنّ ذلك النقط حدّد المنصوبات والمرفوعات والمجرورات، والسواكن، فلم يكن النقط مجرد وضع للنطق، بل ولتحديد إعراب كلّ مفردة.

على الرغم من أهميّة عمل أبي الأسود الدؤلي، إلا أنّ ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت117ه) أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ومن تلاميذه: عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب. بالإضافة إلى من عاصرهم كحماد بن سلمة بن دينار البصري، والأخفش الأكبر شيخ يونس وسيبويه جميعا، وهو لغوي أكثر منه نحوي، وقد روى عنه سيبويه في الكتاب[10].

ومن جهابذة علماء البصرة العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه) صاحب معجم العين، الذي وضعه على غير مثال سابق بطريقة رياضية إحصائية رائعة، أحصى من خلالها المستعمل من كلام العرب والمهمل منه، ولا اختلاف في نسبة الفكرة الرياضية للخليل، وهو واضع علم العروض دون منازع، وهو أيضا رائد المدرسة البصرية ورأس من رؤوسها، وكان عالما جليلا محبًّا للعلم، شديد الملاحظة، دقيق التسديد، يقول ضيف: "وكان عقل الخليل من العقول الخصبة النادرة، فهو لا يلم بعلم حتى يلتهمه التهاما، بل حتى يستوعبه ويتمثّله وينفذ منه إلى ما يفتح به أبوابه الموصدة، وحقا ما قاله ابن المقفع فيه من أنّ عقله كان أكثر من علمه، وهو عقل جعله يتصل بكل علم، ويحوز لنفسه منه كل ما يبتغي من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط..."[11].

وقال ضيف في حقّ الخليل أيضا: "كان عقل الخليل عقلا فذّا، كلما مسّ شيئا نظمه واستنبط قوانينه ودقائقه، وقد سلط هذا العقل على قوانين العربية في النحو والتصريف. فإذا هو يكتشفها اكتشافا دقيقا، وحقا لم يترك فيها كتابا جامعا..."[12].

وإذا ذُكر الخليل ذُكر سيبويه (ت180ه) وهو عمرو بن عثمان بن قنبر، فارسيّ الأصل، وهو تلميذ الخليل النجيب، روى عنه علمه وآراءه النحوية واللغوية في كتابه، الذي يعد نقطة تحوّل في مسار الدراسات اللغوية العربية القديمة؛ إذ بلغ النحو أوجّه فيه، وقد وضع كتابه هذا بعد وفاة الخليل كما يظهر من خلال ترحّمه عليه، يقول ضيف: "من المؤكد أن سيبويه بدأ تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل، إذ نراه في بعض المواضع يعقب على ذكره لاسمه بكلمة (رحمه الله). وقد حمله عنه تلميذه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وأذاعه في الناس باسم (الكتاب) عَلَما اختص به هذا المصنَّف وحده دون بقية المصنفات في عصره، بحيث كان يقال في البصرة: (قرأ فلان الكتاب) فيُعلم أنه كتاب سيبويه دون شك. وظل هذا الاسم خاصا به، دلالة على روعة تأليفه وإحكامه"[13].

ب-**مدرسة الكوفة**:ظهرت مدرسة الكوفة من حيث الدراسات النحوية بعد ظهور مدرسة البصرة، وقد برز بها علماء ونحاة وقرّاء، كانت لهم آراؤهم الخاصة بالنحو، وقد ارتبطت بداية النحو الكوفي بأبي جعفر الرؤاسي (ت187ه) "الذي كان أول من ألّف في النحو من الكوفيين، وأول من أسّس مدرسة الكوفة، ودعمها تلميذاه الكسائي (ت189ه) والفراء (ت207ه)، وكانا نظيري سيبويه رئيس البصريين"[14]،وقد ذُكر أنّه "وضع كتابا -في النحو- لم يصل إلينا؛ وقالوا إنّ الخليل اطلع عليه وانتفع به، وبدأت منذ ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة"[15].

ج-**مدرسة بغداد**:تعدّ مدرسة بغداد نتاج مزج المذهبين البصري والكوفي، من حيث المفاهيم ومن حيث المصطلحات، ويذكر الباحثون أنّ عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276ه) رأس هذه المدرسة، فلقد كان بصريا، ثم ما فتئ أن مزج بين المذهبين، الأمر الذي جعل البعض يتهجّم عليه، وربما يقلّل من شأنه، على نحو ما فعل ابن الأنباري، وأبو الطيب اللغوي، وغيرهما، يقول ابن النديم: "وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين إلا أنه خلط المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين، وكان صادقا فيما يرويه، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها"[16].

ويقول كارل بروكلمان: "وإذًا نعدّ مع صاحب الفهرست أول ممثل لمدرسة بغداد رجلا تجاوزت شهرته حقًّا دائرة النحو والعربية، ولكنّه هو نفسه أراد أن ينظر إلى دراساته اللغوية على أنّها نواة نتاجه الأدبي عامّة، ذلك هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري"[17].

د-**مدرسة مصر**: ظهر في مصر نحاة كثيرون ممّن تبنوا النحوَ البصري، فقد نقلت الدراسات المشرقية إلى مصر، وتمخّضت عن ذلك دراسات أخرى، وآراء وأقوال، وشروحات وتعليقات، وقد أُلّف في مصر ما لم يؤلّف في غيرها من الأمصار نتيجة وجود بيئة مناسبة لذلك، وقد كانت لمصر ولاتزال الريادة في الدراسات اللغوية والنحوية والقرآنية، وممّن اشتُهر من نحاتها ابن هشام (ت218ه) صاحب (السيرة النبوية)، وأبي جعفر بن النحاس (ت338ه)، والإمام السيوطي (ت911ه) وغيرهم[18].

ه-**مدرسة الأندلس**:بعد الفتوحات الإسلامية لهذه الأمصار، وانتشار الإسلام، احتاج الناس إلى تعلّم العربية، فانبرى لذلك قومٌ ممّن ارتحلوا إلى المشرق وقرؤوا على أيدي نحاة الشرق، فعُقدت اللقاءات والمناظرات، وتحلّق الناس حولهم، فظهرت المتون والشروح والتلخيصات، ومن أشهر نحاة الأندلس ابن مضاء القرطبي (ت592ه) الذي أعلن حربا على النحاة القائلين بنظرية العامل.

2. المصطلح النحوي العربي: لكلّ فن من الفنون ولكلّ علم من العلوم مصطلحات ومفاهيم تُبيّنه وتشرحه، وتُظهر معالمه، فعندما نسمع-مثلا- المشترك اللفظي، التضاد، الحقول الدلالية... نعرف بأنّ هذه المصطلحات تشير إلى علم الدلالة، وكذلك علم النحو يتميّز بعديد المصطلحات التي تجعل منه علما قائما بذاته، نحو: الإعراب وعلاماته، والعامل، والفعل والفاعل والمفعول وغيرها.

وقد تميّز النحو العربي بمصطلحات كثيرة وعديدة، حتّى أننا نجد في المفهوم الواحد مصطلحين، نحو الخفض والجرّ، والصفة والنعت، ومردّ تعدد المصطلحات يعود إلى الواضع، وهنا نتحدّث دون شكٍّ عن المدارس النحوية خاصة مدرسة البصرة منها ومدرسة الكوفة، فقد تميّزت كلٌّ منها بمصطلحات معيّنة، واتفقتا في أخرى منها.

وقبل الشروع في تقديم أمثلة عن ذلك، لا بد أن نحدّد مفهوم المصطلح النحوي لغة واصطلاحا.

1.2 مفهوم المصطلح النحوي: أما مفهوم النحو فقد عرّفناه سابقا، وهو العلم الذي تحتكم إليه تراكيب العربية، فيترتب عن ذلك صحة الكلام وسلامة الإعراب، وإن شُذ أحد عنه أعيد إليه به... وأما لفظ (المصطلح) فهو:

أ-**لغة**: تعود مادة كلمة (مصطلح) إلى (ص ل ح)، يقول ابن فارس في هذه المادة: "الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا. وَيُقَالُ: صَلَحَ بِفَتْحِ اللَّامِ. وَحَكَى ابْنُ السِّكِّيتِ صَلَحَ وَصَلُحَ. وَيُقَالُ: صَلَحَ صُلُوحًا، قَالَ الشاعر:

وَكَيْفَ بِأَطْرَافِي إِذَا مَا شَتَمْتَنِي وَمَا بَعْدَ شَتْمِ الْوَالِدَيْنِ صُلُوحُ

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ مَكَّةَ تُسَمَّى صَلَاحًا"[19].

ب-**اصطلاحا**: عرّفه الجرجاني بقوله: "الاصطلاح: عبارةٌ عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول. وقيل هو: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد وقيل: الاصطلاح: لفظٌ معين بين قوم معينين"[20].

2 .2 تعدد المصطلح النحوي العربي:سبق وأن ذكرنا أنّ الخليل لغوي عبقري، فإلى جانب ما قدّم للتراث للغوي، كان له فضل كبير في منهجية وضع المصطلحات، فقد أخذ عنه النحويون من بصريين وكوفيين ذلك، وعُرف في زمانه أولى المصطلحات النحوية، فوضع أسماءً (مصطلحات) لنَقْط أبي الأسود الدؤلي لأواخر الكلم العربي لتبيين نطقه نطقا سليما، وهي الرفع والنصب والجرّ، ويعدّ هذا العمل الذي قام به الخليل نقلة نوعية في تطوّر الدرس النحوي، ذلك أنّ المصطلح كما أسلفنا مهمّ جدا في تحديد العلوم ، واهتمّ الخليل بالجانب الشكلي للكلم العربي كثيرا، فتحدّث عن أوائله وأواسطه و أواخره، ومما أثر عن اصطلاحاته ما ذكره صاحب (مفاتيح العلوم) حيث يقول في الفصل الثاني الموسوم بـ: (في وجوه الإعراب وما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد) : **"الرفع**: ما وقع في إعجاز الكلم منوناً نحو قولك: زيد. **والضم**: ما وقع في إعجاز الكلم غير منون نحو: يفعل. **والتوجيه**: ما وقع في صدور الكلم نحو: عين (عمر)، وقاف (قتم). **والحشو**: ما وقع في الأوساط نحو جيم (رجل) **والبخر**: ما وقع في إعجاز الأسماء دون الأفعال مما ينون مثل اللام من قولك: (هذا الجبل). **الإشمام**: ما وقع في صدور الكلم المنقوصة نحو قاف (قيل) إذا أشم ضمة. **النصب**: ما وقع في إعجاز الكلم منوناً نحو: (زيدا. **الفتح**: ما وقع في إعاز الكلم غير منون نحو: باء (ضرب). **القعر**: ما وقع في صدور الكلم نحو ضاد (ضرب). **والتفحيم**: ما وقع في أوساط الكلم على الألفات المهموزة نحو (سأل). **الإرسال**: ما وقع في إعجازها على الألفات المهموزة نحو ألف (قرأ). **والتيسير** هو الألفات المستخرجة من إعجاز الكلم نحو قول الله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾، (الأحزاب/67). **الخفض**: ما وقع في إعجاز الكلم منوناً نحو: (زيد). **والكسر**: ما وقع في إعجاز الكلم غير منون نحو لام (الجمل). **والإضجاع**: ما وقع في أوساط الكلم نحو باء (الإبل). **والجر**: ما وقع في إعجاز الأفعال المجزومة عند استقبال ألف الوصل نحو: (يذهب الرجل). **والجزم**: ما وقع في إعجاز الأفعال المجزومة نحو باء (اضرب).

والتسكين: ما وقع في أوساط الأفعال نحو فاء (يفعل). **والتوقيف**: ما وقع في إعجاز الأدوات نحو ميم (نعم). **والإمالة**: ما وقع على الحروف التي قبل الياءات المرسلة نحو (عيسى وموسى). وضدها: **التفخيم**. **النبرة**: الهمزة التي تقع في أواخر الأفعال والأسماء نحو: (سبأ وقرأ وملأ)"[21].

وقد تأثّر بالخليل تلامذته ومن عاصره أو عاصروهم بمنهجيته في وضع المصطلحات، فاقتبسوا ذلك المنهج اللغوي الرائد، فمنهم من أخذ مصطلحاته واستعملها، ومنهم من وجّهها توجيها آخر، ومنهم من وضع مصطلحات جديدة تستمد شرعيتها من منهجية الخليل، وإذا ما نظرنا إلى تلك التسميات نظرة عامّة وجدناها ثلاثة أنواع:

أ-**مصطلحات بصرية**: نذكر منها:

- **لام الابتداء**: وهي مصطلح بصري معروف، ولام الابتداء عند الكوفيين لام القسم، وقد "ذهبوا إلى أن اللام في قولهم (لزيدٌ أفضلُ من عمروٍ) جواب قسم مقدَّر، والتقدير: والله لزيد أفضل من عمرو، فأضمر اليمين اكتفاءً باللام منها، وذهب البصريون إلى أن اللام لام الابتداء"[22]. ولكلٍّ تعليلاته وتخريجاته.
- **اسم الفعل**: والمراد به تلك الكلمات التي تؤدّي معاني الأفعال دون أن تقبل علامتها، غير أنّه يقبل التنوين مما أهله للاسمية، ورأى الكوفيون أنّه فعل حقيقي، لأنّه دلّ على الحدث المقرون بالزمان، وأما قبوله للتنوين فمن جهة التكثير-تكثير اللفظ- لا من جهة التنكير[23].
- **المفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول معه**: انقسام المفعول إلى المفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول معه مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيرون هذه الأقسام أشباه مفاعيل، ذكر السيوطي: "أَن انقسام الْمَفْعُول إِلَى مفعول مُطلق ومفعول بِهِ وَله وَفِيه وَمَعَهُ هُوَ مَذْهَب الْبَصرِيين، وَأما الْكُوفِيُّونَ فزعموا أَن الْفِعْل إِنَّمَا لَهُ مفعول وَاحِد، وَهُوَ الْمَفْعُول بِهِ وباقيها عِنْدهم لَيْسَ شَيْء مِنْهَا مَفْعُولا، وَإِنَّمَا مشبه بالمفعول.."[24].

ب-**مصطلحات كوفية**:ومن ذلك نذكر:

- **الخلاف**: وهو مصطلح كوفي لم يقل به بصري، وهو عامل معنوي، فقد زعم الكوفيون أن الظرف ينتصب على الخلاف إذا وقع خبرا للمبتدأ، نحو: زيدٌ أمامك وعمر وراءك، وقالوا به أيضا في نصب الفعل الواقع بعد الفاء في جواب الاستفهام والتمني والنهي والنفي. والظاهر أنّهم أخذوه عن الخليل[25].
- **أحرف الصرف**: والمراد بأحرف الصرف: (الواو)، و(أو)، و(الفاء)، المسبوقة بنفي، أو طلب، والتي ينتصب بعدها الفعل المضارع.

ج-**مصطلحات كوفية بصرية**:وهي كثيرة، منها:

- **الجحد**: أطلق الكوفيون هذا المصطلح في مقابل مصطلح النفي عند البصريين، والنفي مقتبس من مصطلحات المتكلّمين[26].
- **المحلّ، والصفة**:ويعني به الكوفيون الظرف-وهو مصطلح بصري-، نحو: أمام، خلف، وراء، عند، وغيرها، وكذا ظروف الزمان نحو: يوم، ليلة، وغيرها، يقول الأنباري: "ذهب الكوفيون إلى أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه، ويسمُّون الظرف المحلّ، ومنهم من يسميه الصفة، وذلك نحو قولك: أمامك زيد، وفي الدار عمرو، وإليه ذهب أبو الحسن الأَخْفَش في أحَدِ قَوليه وأبُو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد من البصريين، وذهب البصريون إلى أن الظرف لا يرفع الاسم إذا تقدم عليه، وإنما يرتفع بالابتداء الترجمة والتبيين والتكرير: وهي من مصطلحات الكوفيين، ويراد بها (البدل)، يقول الأشموني: "في اصطلاح البصريين (بدلًا)، وأما الكوفيون فقال الأخفش: يسمونه بالترجمة والتبيين، وقال ابن كيسان يسمونه بالتكرير"[27].
- **الفعل الدائم**: مصطلح كوفي يُطلق على اسم الفاعل، نحو: قائم، وجالس، وقادم.. والفعل الدائم قسيم الفعل الماضي والفعل المستقبل عند الكوفيين، ويذهب البصريون إلى تقسيم الفعل إلى: ماض، ومضارع، وأمر[28].
- **الفعل الواقع وغير الواقع**: وهما مصطلحان يقابلان الفعل المتعدّي واللازم، يقول ابن منظور: "وأَهل الْكُوفَةِ يُسَمَّوْنَ الفِعْل المتعدِّي واقِعاً"[29].

وقال الفراء: "... لأن الفعل فِيهِ إذا فتح يكون عَلَى وجهين. فأما الَّذِي يقع فالواو منه ساقطة مثل وَزَن يَزِنُ. والذي لا يقع تثبت واوه فِي يفعل. والمصادر تستوي فِي الواقع وغير الواقع"[30].

- **الأدوات**: وهي مصطلح كوفي يقابل الحروف، يقول الخوارزمي: "وأهل الكوفة يسمون حروف المعاني: الأدوات وأهل المنطق يسمونها: الرباطات"[31].
- **الخفض**: مصطلح كوفي يقابل الجرّ عند البصريين، وهذا المصطلحان مقتبسان من مصطلحات الخليل، هكذا يقول المخزومي.
- **المجهول**: مصطلح كوفي يراد به "الضّمير الذي لم يتقدّمه ما يعود عليه، ويسمّيه البصريون: ضمير الشأن، والقصة، والحديث"[32].
- **العماد**:وهو من أوضاع الكوفيين، ويسمّيه البصريون الفصل، جاء في الإنصاف: "ذهب الكوفيون إلى أن ما يُفْصَلُ به بين النعت والخبر يسمى عمادًا، وله موضع من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما قبله، وذهب بعضهم

إلى أن حكمه حكم ما بعده. وذهب البصريون إلى أنه يسمى فصلًا لأنه يَفْصِلُ بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعًا لنعت الاسم ليخرج من معنى النعت كقولك: (زيد هو العاقل)، ولا موضع له من الإعراب"[33].

- **حروف الصفة**: ويقصد الكوفيون بحروف الصفات حروف الخفض، ويسمّيها البصريون بحروف الجرّ، ويطلق عليها الكوفيون أيضا حروف الإضافة، جاء في الهمع: "...وتسميها الْكُوفِيُّونَ حُرُوف الْإِضَافَة لِأَنَّهَا تضيف الْفِعْل إِلَى الِاسْم أَي توصله إِلَيْهِ وتربطه بِهِ، وحروف الصِّفَات لِأَنَّهَا تحدث صفة فِي الِاسْم..."[34].
- **النعت**: من اصطلاحات الكوفيين، ويقابل الصفة والوصف عند البصريين، وربما استخدمه بعض البصريين أيضا.
- **حروف الصلة أو الحشو**: جاء في شرح المفصل: "والصلةُ والحَشْوُ من عبارات الكوفيين، والزيادةُ والإلغاءُ من عبارات البصريين"[35].
- **النسق**: وجاء في شرح المفصل أيضا: "يقال: (حروف العَطْف) و(حروف النَّسْق)، فالعطف من عبارات البصريين... والنسق من عبارات الكوفيين"[36].
- **الرفع والنصب والجزم**: جعل الكوفيون الرفع والنصب والجزم للمعرب والمبني، وجعل البصريون الرفع والنصب والجزم والجر للمعرب، والضم والفتح والسكون والكسر للمبني[37].

وبعد عرض ما تيسّر من مصطلحات البصريين والكوفيين... يحق لنا عندئذ التساؤل عن قبول الباحثين والدارسين والمهتمين لها قديما وحديثا، فمن القديم نجد أنّ المدرسة البغدادية قد مالت إلى الجمع بين الاتجاهين مصطلحا ومفهوما كما ذكرنا ذلك سابقا، ولعل رائدها الأول وهو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة خير من نُدلّل به على هذا؛ فقد مزج بين المدرستين، والقصد من ذلك التيسير على الطالب والباحث، فلا حاجة لعديد المصطلحات والإصرار عليها والانتصار لها والغاية واحدة، فقد أراد البصريون من دراسة النحو خدمة العربية فالقرآن الكريم، وهو ما قصده الكوفيون أيضا.. نقول هذا لأنّ الصراع بين المدارس الفقهية والنحوية وغيرها قديما وصل إلى درجة التعصّب.

إنّ عمل ابن قتيبة هذا ليس خلطا عشوائيا، وإنما هو مزج ودمج للمفاهيم والمصطلحات النحوية البصرية منها والكوفية، كما ظهر ذلك في كتابه (تأويل مشكل القرآن) نحو استعماله لمصطلح (حروف المعاني) وهو اصطلاح بصري، و (حروف الصفات) وهو اصطلاح كوفي، حيث عنون بابا من أبواب كتابه بـ(باب تفسير حروف المعاني وما شاكلها من الأفعال الّتي لا تنصرف)[38]، ووسم بابا آخر بـ(باب دخول حروف الصّفات مكان بعض)[39]، وهذا المزج عرّضه للنقد كما أسلفنا.. وعمل ابن قتيبة هذا يعد دعوة ضمنية لتيسير النحو، وإن كان بصريّته ظاهرة بيّنة غالبة عليه.. وقد كُتب القبول للاصطلاح البصري أكثر من الكوفي في العصر الحديث، وإن كان الأخير حاضرا نسبيا، نجد ذلك في مناهج التعليم عندنا؛ فهم يستعملون مصطلحات البصريين بقوة، نحو تبنيهم للتقسيم الثلاثي للفعل (ماض، مضارع، أمر) في مقابل التقسيم الكوفي للفعل (ماض، حاضر، دائم)، وهكذا..

3. الخاتمة:

إنّ التّعدّد المصـــطلحي ظاهرة بيّنةٌ في ثقافتنا العربية القديمة، وحتى المعاصـــرة، فهناك تعدد لمصـــطلحات الفن الواحد، وعلى الرّغم من أنّ ذلك التّعدد أثرى الســـاحة العلمية، إلا أنّه يحْدث أحيانا نوعا من الارتباك لدى الدّارس والمهتم بذلك العلم عموما.

وتعود أسباب التعدّد المصطلحي في النحو العربي القديم إلى:

-اختلاف المنهجية العلمية في كلّ مدرسـة؛ فالبصـريون نزحوا بمصـطلحاتهم إلى المنطق وإلى منهج المتكلّمين، بينما حاول الكوفيون التنصّل من ذلك، وتوليد المصطلح من اللغة نفسها كما يقول مهدي المخزومي.

-ثراء اللغة العربية جعل النزعة الفردية تهيمن نوعا ما على خلق المصطلحات.

-غياب التنسيق بين تلك المدارس، إلى جانب وجود نوع من التنافس.

كلُّ ذلك أولد لنا-كما أســلفنا- ثروة من المصــطلحات، وقد كُتب القبول للمصــطلحات النحوية البصــرية، فهي المســتعملة في مدارســنا وجامعاتنا اليوم، ولم تنل من ذلك القبول المصــطلحات الكوفية إلا القليل، نحو تداول مصطلح: الخفض، والنعت.

لقد حاول البعض المزج بين المذهبين البصــري والكوفي مصــطلحا ومفهوما كابن قتيبة، وابن كيســان، والأخفش الصــغير، ونفطويه وغيرهم، وهذا ليس خلطا عشــوائيا، بل جاء ابتغاء التيســير على الدارس والمهتم، إذ لا فائدة من الاختلاف المصــطلحي والمنهجي والموضــوع واحد والغاية واحدة، وهذا هو الأصــوب في رأينا؛ أن نمزج بين الاتجاهين شكلا ومضمونا بغية تيسير النحو وتذليله.

4. قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن جني، أبو الفتح عثمان. (بلا تاريخ). الخصائص (المجلد 4). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2-ابن فارس، أحمد. (1979). مقاييس اللغة. (عبد السلام هارون، المحرر) دمشق: دار الفكر.

3-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (2002). تأويل مشكل القرآن (المجلد 1). (إبراهيم شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

4-ابن قتيبة، عبد الله مسلم. (1992). المعارف. (ثروت عكاشة، المحرر) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5-ابن منظور، محمد مكرم. (1414). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

6-ابن يعيش، يعيش. (2001). شرح المفصل للزمخشري (المجلد 1). (إميل بديع يعقوب، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

7-الأشموني، أبو الحسن نور الدين. (1998). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج3 (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

8-أمين، أحمد. (2012). ضحى الإسلام. القاهرة: هنداوي.

9-الأنباري، أبو البركات كمال الدين. (2003). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين (المجلد 1). بيروت: المكتبة العصرية.

10-بروكلمان، كارل. (بلا تاريخ). تاريخ الأدب العربي، ج1 (المجلد 4). (عبد الحليم النجار، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.

11-الجرجاني، الشريف. (1983). التعريفات. (ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

12-الحديثي، خديجة. (2001). المدارس النحوية (المجلد 3). إربد: دار الأمل.

13-السامرائي، إبراهيم. (1987). المدارس النحوية أسطورة وواقع (المجلد 1). عمّان: دار الفكر.

14-السيوطي، جلال الدين. (بلا تاريخ). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2. (عبد الحميد هنداوي، المترجمون) القاهرة: المكتبة التوفيقية.

15-ضيف، شوقي. (بلا تاريخ). المدارس النحوية. القاهرة: دار المعارف.

16-الفراء، يحي زياد. (بلا تاريخ). معاني القرآن، ج2 (المجلد 1). (أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، المحررون) القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة.

17-اللغوي، أبو الطيب. (بلا تاريخ). مراتب النحويين. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

18-مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط، ج1. القاهرة: دار الدعوة.

19-محمد ابن سلّام. (بلا تاريخ). طبقات فحول الشعراء، ج1. (محمود محمد شاكر، المحرر) جدة: دار المدني.

20-محمد أحمد الخوارزمي. (بلا تاريخ). مفاتيح العلوم (المجلد 2). (إبراهيم الأبياري، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

21-محمد إسحاق ابن النديم. (1997). الفهرست (المجلد 2). (إبراهيم رمضان، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

22-المخزومي، مهدي. (1958). مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو (المجلد 2). القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

5-الهوامش والإحالات:

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج15، دار صادر، بيروت، 1414، ص: 310.

(2) أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج5، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1079، ص: 403.

(3) ابن جني: الخصائص، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص: 35.

(4) ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ص: 11-13.

(5) المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ص: 280.

(6) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج1، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص: 12.

(7) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص: 540.

(8) ينظر: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص: 6 وما بعدها.

(9) ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، ط3، أربد، الأردن، 2001، ص: 7-22.

(10) ينظر: المرجع نفسه، ص: 22.

(11) شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 30.

(12) المرجع نفسه، ص: 33.

(13) المرجع نفسه، ص: 59.

(14) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص: 606.

(15) المرجع نفسه، ص: 615.

(16) ابن النديم: الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1997، ص: 105.

(17) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج1، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط4، القاهرة، ص: 221.

(18) ينظر: الحديثي، المدارس النحوية، ص: 273.

(19) ابن فارس: مقاييس اللغة، ج3، ص: 303.

(20) الشريف الجرجاني: التعريفات، صححه وضبطه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص: 28.

(21) محمد بن أحمد الخوارزمي: مفتاح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، ص: 65-66.

(22) أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط2، بيروت، 2003، ص: 330.

(23) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي البابي وأولاده بمصر، ط2، القاهرة، 1958، ص: 308.

(24) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص: 6.

(25) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص: 293.

(26) ينظر: المرجع نفسه، ص: 310.

(27) الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ص: 3.

(28) ينظر: إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، ط1، عمّان، 1987، ص: 115.

(29) لسان العرب، ج8، ص: 408.

(30) الفراء: معاني القرآن، ج2، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، ص: 150.

(31) مفاتيح العلوم، ص: 63.

(32) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص: 311.

(33) الإنصاف، ج2 ص:579.

(34) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، ص: 441.

(35) ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج5، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001، ص: 64.

(36) المصدر نفسه، ج5، ص: 3.

(37) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص: 315.

38عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص: 278.

(39) المصدر نفسه، ص: 298.